كان لك معايا

منى مصطفى

كان لك معايا تأليف/ منى مصطفى

التصنيف: رواية

21 سم، 66 ص.

تدمك: 9789776959774

التدقيق اللغوي: د. مريم عبد الجواد

الإخراج فني: يوريكا لخدمات النشر والتوزيع

تصميم الغلاف: بلال محمد

EUREKA

Eureka4publishing

01288627690

eureka4publishing@gmail.com

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 4790

جميع الحقوق محفوظة و يحظر طبع أو تصوير أو تخزين أى جزء من الكتاب بأية وسيلة من وسائل تخزين المعلومات إلا بإذن كتابى صريح من الناشر

إهداء

إهداء من مبادرة أنا موهوب بقيادة المؤسسة مني مصطفى لدار يوريكا ومكتبات موريسكي وأستاذ بسام الدويك

وإلي ابطال هذا الكتاب

الكاتبة:أمنية عاشور

الكاتبة:بسملة السيد

الكاتبة:سهيلة الديب

الكاتبة:سلمي محمد

الفنانة:مريم يحي

انتظرت أمي قدومي

وأنتظرتُ أنا قدوم الحياة..

فكيف كان طريقي؟

وإلي أي وجهة وصلت؟

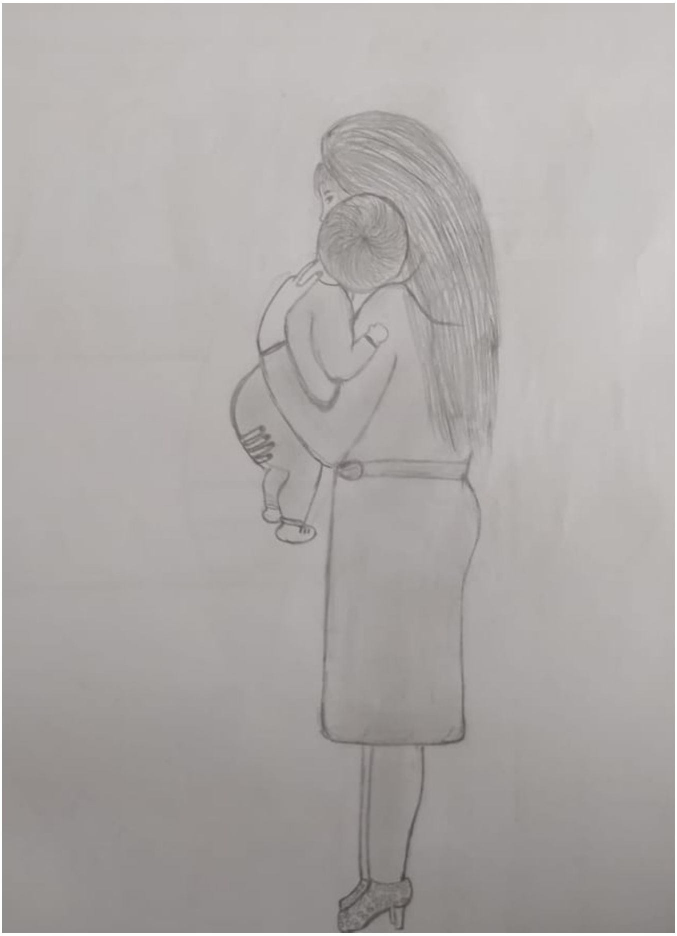

أول حياتي ياما أتبنيت بيكي❤

أمنية عاشور
أمي

اليوم وأنا أُرتِب مَكتبي، وأضَعُ دفاتري فِي أمَاكِنها؛ إذا بكتابٍ يقع من يدي يَحْمِلُ غُلافًا لونه بني فاتح يُشبه عيونك، ومليء بالغروب الجميل؛ التي لطالما كُنتِ أنت بداية ليله وقمره في حضورك وبهجتك.

الكتاب نفسه الذي أهديتني إيَّاه يا أمي في يوم مَولدي، فاستنشقت رائحته فوجدتها هي كما هي كالرَّائحة التي كانت تحملها يداك تمامًا في جمالها، ولم أكُن أعلم أنَّ الذِّكريات سَتكون حاضرةً إلى هذا الحدِّ، ولكني أعلم أن مَنْ يستحق الهدايا هو أنتِ يا أمي؛ فأنتِ فِي كُل وقت حاضرة لا تملي، بل إن الهدية يجب أن تكون لكِ؛ لأنكِ جعلتيني أراكِ مُنذ اليوم الأول الذي علمتِ فيه بوجودي في رحمك وأحببتيني حُبًّا جمًّا. كُل الذِّكريات مُنذ طفولتي معك كأنَّها لَمْ تُنسَ لحظة، حاضرة بكل تفاصيلها رغم مرور الأيام.

بسملة السيد
لقلب أمي

إن أرقَّ الألحان وأعذب الأنغام لا يعزفها إلا قلب الأم. أمي التي منحتني حضنها الأمان، والتي كانت نبع الحنان ومصدر القوة. أمي.. أيا حبي الأبدي، ويا نور أيامي، أدامك الله مصدرًا لحبّي وإلهامي.

هل تعلمين مَنْ هو أجمل شخص في هذا العالم؟ أنتِ يا أمي؛ فأنتِ معي في كل الأوقات، في أوقات نجاحي، وأوقات حزني، كل عام وأنتِ حُبّي الوحيد يا أمي.

سهيلة الديب

جنة أمي

العالم لكِ وأنا إليكِ، السماء منك والبحر من روحك. حتى الأعوام بفضلك وذاك نسيم الهواء يخصك، يشبه طيف رائحتك. ولو أن العالم يتحدث لوصف جنتك، ولو أن الجنة تتجسد لكانت أنت، فوحدك مَن يستطيع تقبل أخطائي، ووحدك القادرة على تحويلها إلى صواب. أنتِ مُنقذي من الساعات وعقاربها، فالفضل لكِ في كل شيء لكِ أنت يا أمي..

إهداء إلى روح جدتي المحلقة في الأعلى لكنها دائمًا معي، وإلى أمي وأبي اللذين لولا وجودهم ما سطعت شمسي.

الفصل الأول

الانتظار

السادسة صباحًا في محطة مصر.

توجهت إلى نافذة التذاكر لأحصل على تذكرة للقطار المتجه للإسكندرية، وجدت أول قطار به مقاعد فارغة في الساعة الثامنة إلا ربع، لم أتراجع رغم طول الانتظار لأستمتع برحلتي بالقطار، رغم أنني شخصية تملّ بسرعة لا تحب الانتظار، وتحب الانتقال من الأشياء سريعًا؛ كي لا تمل. لكن حين أعلم أن هذا الشيء سيسعدني أستطيع أن أنتظره عمرًا كاملاً دون مَلَل.

اتجهتُ لكافيه المحطة بالطابق العلوي لأحتسي القهوة حتى يحين موعد ذهابي، جلست أتفحَّص هاتفي، وجدتُ الكثير من رسائل (الواتساب) فاطلعت على بعضٍ منها، وأجبت على الأهم بالنسبة لي.

الرساله الأولى: كانت لأختي تطمئن عليَّ وتطالبني بمحادثتها فور تحركي، ابتسمتُ حين سمعتُ صغارها يشاركونها الرسالة الصوتية ليخبروني كم اشتاقوا لي، وأن أحضر معي بعض الحلوى، وشاركتهم أيضًا جارتها؛ تلك البنت التي تقربني بالعمر، فأصبحنا صديقتين مقربتين. كانت تخبرني أنها أيضًا بانتظاري لنسهر معًا كالعادة، ونستمتع بإجازة سعيدة، وعمَّا

جهّزته لرحلتنا إلى مطروح، وأنها ستشاركني التسوق لشراء ما يلزمني.

الرسالة الثانية: كانت لابن خالتي يطمئن عليَّ أيضًا، ويسألني هل سأذهب إليهم أولاً أم لأختي، يُضحكني كثيرًا حين يبعثُ لي رسالة صوتية فتصله رسالة بصوت سَعْلة القطة فيجاوبها بيرحمكم الله كأنها شخص حقيقي. تُضحكني طفولته وخفة ظله، وأتمنى ألّا يفقدهم في يوم بسبب ضغوطات الحياة والصراع لكسب لقمة العيش، إلا أنني أعتقد أن قوتَه تكمُن في تلك الطفولة والفُكاهة الذي استطاع بهما أن يتخطى أصعب موقفين يمرَّان بشخص؛ وهما وفاة والده وهو بالصف الرابع الابتدائي، ووفاة والدته بعد مصارعتها لعامين مع مرض السرطان وهو بالصف الثالث الإعدادي. هما موقفان يقسمان ظهر الشاب الكبير، فما بالك بطفلين بهذا العمر! شاركه الرسالة أخوه الذي يصغره بعام، يخبرني أنه هاتفني كثيرًا وكان هاتفي خارج التغطية، وأن أطمئنه فور سماعي لرسالتهم، ابتسمتُ على طيبة ورجولة هذا الشاب الصغير الذي

لم يتخطَ الثامنة عشر من عمره. كُنَّا نشعر دائمًا أنه حصل على قلب وطيبة خالتي ــ رحمها الله ــ بالرغم من اصطدامه مع الكثير من حوله بسبب عصبيته، وعدم مقدرته التعبير عن نفسه؛ فهو حين يريد شيئًا يقول أريد كذا أو فعلت كذا دون أن يكترث لرأي أحد أو استيائه، على عكس أخيه الذي يُسحر الجميع بأسلوبه المرح وخفة ظله، فتحتار هل أضحك أم أعاقبه على خطئه.

كانت الرسالة الثالثة: من خالتي تسألني عن موعد وصولي وما أشتهيه لتحضِّرَه لي على الغداء، شاركها الرسالة ابنها الذي يكبرني بأشهر قليلة يخبرني أنهم اشتاقوا لوجودي وتنزهنا معًا.

كانت الرسالة الرابعة: لخالي الذي يرفض بشدة ذهابي لأي مكان قبل الذهاب إليه؛ لأنه اشتاق لي كثيرًا، كم اشتقتُ له أيضًا، ولهذا المَرح والأمان الذي أشعر به عند وجوده. شاركته خالتي التي كانت بالأصل هي أخت أمي وهو زوجها وتربطهم صلة دم أيضًا، لكنني اعتدت أن أشعر أنه الأقرب لي من الجميع، وأقل ما أقوله عنه أنه خالي، بل بالفعل هو أبي الروحي.

أخبرتني خالتي أنها ستحضِّر لي المعكرونة بالبشاميل التي أعشقها والجلاش بالجبنات، وبالمساء ستعدُّ لنا البيتزا، وفي اليوم التالي سيحضر الجميع للغداء، وتعدُّ لنا السي فوود، لم يكن سرًّا، كان الجميع يعلم مقدار حبي للطعام، وأنه أكثر ما يسعدني، لكن الذي يسعدني أكثر هو رغبتهم في إسعادي. كم كنت أتمنى أن تكون ابنة خالتي تحدثني أيضًا وتنتظرني. افتقدتها كثيرًا منذ أن سافرت هي وصغارها لتقيم مع زوجها بإحدى البلاد الخليجية، ومن ثمَّ لحقها أخوها التي أرسلت له دعوة للعمل هناك. يسعدني أن يحصلوا على حياة أفضل، لكنني أفتقدهم كثيرًا ينشق قلبي نصفين حين أبات بهذا البيت وهذه الغرفة دونها. أنظر للشرفة وأتذكر كم سهرنا بها وضحكنا، وللسرير الذي اقتسمنا به حكاياتنا ووجباتنا والضحك الكثير، منذ مراهقتنا لقبنا البعض بتوءم روحي لكم الاقتراب الذي بيننا بالروح والشخصية، كيف أستطيع أن أتخطى فراقها وفراق خالتي المتوفاة؟! كيف أتخطى عدم وجود شخص يستطيع أن يفهمني دون التفوُّه بكلمة مثلهم؟ كيف أتخطى كل هذه السعادة التي غابت عني بغيابهم؟!

كان لك معايا..

جـاء صـوت تلـك النعمـة مقاطعًـا لـشرودي فانتبهـت لبقيـة الرسـائل.

كنـت أتفحـص رسـائلهم بسـعادة، لكنـي فضلـت الـردَّ عليهـم عندمـا أتحـرَّك بالقطـار حتـى لا أنشـغل بالحديـث معهـم فيفوتنـي.

وجـدت أيضًـا تلـك الرسـالة التـي كادت أن تعكِّـرَ مزاجي مـن صديقتـي المقربـة تعلِّـق عـلى حالتـي عـلى الواتـس التـي توضـح ذهـابي للإسـكندرية وكـم سـعادتي، تسـألني لِمَ لا أفكـر بالإقامـة هنـاك؛ عوضًـا عـن مجهـود السـفر كل حـين وآخـر، وكـي أظـل سـعيدة أسـتطيع أن أقـرأ خلـف رسـائلها المسـتفزة اسـتيائها مـن سـفري، وعـدم مشـاركتي لهـا بعـض التفاصيـل. في ذلـك الوقـت أجبـت عـلى رسـالتها بـردٍّ مختـصر وبـارد بأننـي سـأفكر في اقتراحهـا، لكنهـا لم تسـتطع أن تقـرأ مـن رسـائلي أننـي أتجنَّـب النقـاش الـذي سـينتهي بالجـدل، وكـم سـئِمنا اختـلاف وجهـات نظرنـا وجدالنـا التـي كادت أن تُنْهـيَ صداقتنـا. كنـت أسـأل نفسي دائـمًا لمـاذا ـــــ رغـم كل هـذه الخلافات والاختلافـات ـــــ مـا زلـت أحبهـا وأخـبر الجميـع أنهـا

الأقــرب لقلبــي؟ لكننــي حاولــت كثــيرًا أن أتخطــى وجودهـا في حيـاتي؛ لأحظـى بحيـاة أهـدى، ولم أسـتطع أن أتخطـى ذكرياتنـا معًـا وحبـي لهـا. تعرَّفـت عليهـا بالصـف الرابـع الابتدائـي بإحـدى المراكـز التعليميـة، وتشـاركنا من يومهـا كل شيء حتـى اليـوم؛ طفولتنـا ومراهقتنـا وشـبابنا. حتـى إننـي لم أسـتطع أن أتخطـى ذكرياتنـا بتلـك الكافيتريـا مـع ثالثتنـا التـي عرَّفتنـي عليهـا منـذ عـدة سـنوات، وأصبـح ثلاثتناكشـخص واحـد، قرَّرنـا أن نجعـل تلـك الكافيتريـا مكاننـا الخـاص للمـرح ومشـاركة مشـكلاتنا، حتـى إننـا حفظنـا وجـوه كل مَـنْ يـأتي إليهـا، ومَـنْ كان يـتردد دائـمًا ومَـنْ كان زائـرًا. تلـك الطاولـة الخاصـة بنـا امتـلأت بأشـخاص كُثـر وفرغـت ومـا زلنـا معًـا. شـاركتنا ضحـكات كثـيرة وكذلـك دمـوع، حكايـات مـا بعـد يـوم عمـل مرهـق، ومشـاهدة ماتشـات وأمسـيات رمضـان اليـوم الـذي أتذكـره جيـدًا. ويضحكنـي كثـيرًا هـو يـوم خطوبتهـا حـين اجتمعنـا في الصبـاح بتلـك الكافيتريـا؛ لنتشـارك مشـاعرنا وبعـض الحكايـا قبـل المسـاء كأننـا لم نسـتطع الصـبر حتـى ينتهـي اليوم.كانـت حكاياتنـا لبعض أهـم مـن أهـم حـدث حـين تنطـق واحـدة عـلى جـروب (الواتسـاب) أريدكـم حـالاً، أنـا ذاهبـة للكافيتريـا نُفـرِغُ

جميعًـا مـا بإيدينـا لنشـاركها مـا بهـا.

كان لك معايا..

قاطعـت شرودي مـرة أخـرى تلـك النغمـة الآتيـة مـن هاتـف أحدهـم فابتسـمت وشـعرت أنهـا توثِّـق تلـك الذكريـات.

وجـدت رسـالة أخـرى مـن جـارتي وصديقتـي بالقاهـرة تخـبرني أن أطمئنهـا حـين أصـل، وأن أرسـل سـلامي لأمي وأهـلي.

لم أربطهـا يومًـا بذكريـاتي مـع أخيهـا، ولم أبتعـد عنهـم عندمـا انتهـت قصتـي معـه. لقـد أعددتهـم عائلتـي الثانيـة، وكانـوا نِعْـمَ الأخـوة والعائلـة، عندمـا بـدأت صداقتنـا كنـت أيضًـا بالصـف الرابـع الابتدائـي بنفـس المركز، كنـا نتشـارك نحـن وأخواتنـا الذيـن سـبقونا بالعمـر الـدروس الخصوصيـة. ورغـم أننـا كنَّـا جيرانًـا لكـن لن نتعـارف إلا بالمركـز؛ لأن أمـي لم تكـن امـرأة مختلطـة. تعامـل الجميـع بلطـف وابتسـامة مـن بعيـد، لكنهـا لم تقـترب إلا مـن أهلهـا، وعلَّمتنـا أن نصبـحَ لبعـض كل شيء، فأصبحنـا أنـا وأخـوتي وأبنـاء خـالاتي أخـوة وأصدقـاء مقربـين.

وخـالاتي هـن أمهاتنـا الأخريات، كـما أنهـن أصدقائنـا، نتشـارك كل شيء ونتنـزه معًـا، ونذهـب لمطـروح بالإجـازة معًـا. إلى الآن أحـب علاقتـي بعائلتـي جـدًّا، وأحـب تحفُّظ أمـي الـذي يجعلهـا مثـل الأمـيرات في أعـين الجميـع وهـي بالفعـل أمـيرتي..

تطرقـت بذاكـرتي مـرة أخـرى إلى ذلـك المركـز، خاصـة ذلـك اليـوم الممطـر الـذي جعـل المعلمـين والعاملـين لم يأتـوا لسـوء الطقـس، ففرحنـا جميعًـا؛ لأننـا حصلنـا عـلى وقـت رفاهيـة معًـا. لعبنـا كثـيرًا تحـت المطـر ابتسـمت أكثر عندمـا تذكـرت ذلـك الموقـف حـين ضايقنـي أحدهـم، وكان يكـبرني بعامـين فأحـضرت حجـرًا مـن الأرض ورميتـه بـه، وبعدمـا سـقط لم أرَ وجهـه مـن كثـرة الـدم الـذي ينسـال منـه، فزعـت حينهـا واعتقـدت أنني فقـأت عينـه رغـم أنـه يسـتحق لسـماجته، لكننـي خشـيت عـلى مسـتقبلي، وكيـف سـأكمل حيـاتي بالسـجن، أو الأحـداث إلى أن أتـى صديقـه وابـن الجـيران ليخـبرني أنـه بخـير، وألَّا أخشـى شـيئًا، وأنـه سـيقنعه ألا يخـبر أخـوتي أو أحـد مـن المعلمـين. كان هـذا أول موقـف يجمعنـي بـه، ويلفتنـي لوجـوده بجـواري في الـدروس والسـكن والحيـاة. مـن بعد ذلـك اليـوم لم أخـف مـرة أخـرى، ولم يسـتطع مضايقتـي

أحـد، دائـمًا كان يطمئنني وجـوده ويفهـم مـا لا أعلـم كيـف أشرحـه،كل يـوم كنـت أنتظـر صافرتـه وهـو تحت منـزلي لنذهـب للـدروس ومعنـا أخته،كنـت أفـرح كثـيرًا عندمـا لا تـأتي حتـى أحظـى بوقـت أكثـر معـه بمفردنـا. كانـت إشـارته لي بالمـرآة نحـو الشـمس لينعكـس الضـوء بحجـرتي فأعلـم أنـه بالخـارج فـأُسرع للنافـذة. أتـت صديقـة أختـي الكبـيرة بأحـد الأيـام إلى منزلنـا فسـألتني ضاحكـة لمَ أنـا دائـمًا بالشرفـة هـل أحـب أحدهـم؟ قلقـت حينهـا وحدثـت نفسـي هـل تعلـم شـيئًا؟ هـل واضـح علـيَّ الأمـر لهـذه الدرجـة؟ فقاطعـت تفكـيري بضحكتهـا التـي تخـبرني أنهـا تمـزح؛ لأنهـا متأكـدة ألا أحـد يحـب بهـذا العمـر، نحـن فقـط نريـد أن نلهـو ونبتعـد عـن الدراسـة بـأي شيء، فضحكـت أنـا عليهـا بعدمـا ذهبـت؛ لأننـي لم أكـن ألهـو بالشرفـة، بـل أحـب أحدهـم بالفعـل، وإلى الآن لم أنكـر هـذه المشـاعر، ولا أسـتطيع أن أحظـى بمثلهـا، أو أثـق بأحدهـم؛ لأن مجتمعنـا لم يعـد بتلـك الـبراءة.

كان لك معايا..

ألتفـت بفضـول أبحـث بعينـي عـن صاحـب أو صاحبـة تلـك النغمـة، لمـن هـذا الـذوق الرفيـع في عـصر

المهرجانـات والنغـمات الأجنبيـة، قاطـع فضـولي فضـول أحدهـم وهـي تسـألني هـل معـي أحـد، أو أنتظـر أحـد، التفـت لهـا وأجبتهـا باسـتغراب: لا. وقبـل أن أشـير لهـا بالجلـوس كانـت بالفعـل جلسـت، لم أشـعر أنهـا مـن النـوع الفضـولي، هـي فتـاة في بدايـة عمـر العشريـن، وجميلـة، وملابسـها مُنسَّـقة، لكـن بعينيهـا حيرة كمـن يريـد أن يسـأل أحدهـم عـن وجهـة معينـة، أو رأي في موضـوع مـا، لم أسـتغرب أحيانًـا نريـد أن نتشـارك مـع الغربـاء، وإن لم نحصـل عـلى قـرار مُقنـع يُنهـي حيرتنـا، نكـون قـد شوشـنا ذهننـا قليـلاً.

- اسمي أمنية، وحضرتك اسمك إيه؟

صمـت قليـلاً أفكـر بسـؤالها هـل لأحـد أن يحتـار في إجابـة أسـهل مـن سـؤال مـا اسـمك؟

كنـت لا أريـد أن أنطـق هـذا الاسـم الـذي شـاركني جميـع ذكريـاتي الجيـدة والسـيئة، لقـد نطقـه الكثـير مـن الذيـن رحلـوا الآن مـن حيـاتي سـواء بالوفـاة التـي تركـت بداخلي وجعًـا وفراغًـا كبـيرًا، أو الذيـن سـافروا وبعـض الذيـن فارقتهـم لاختـلاف وجهاتنـا والبعـض لِأنّـهِ ضغطهـم عـليَّ يكفينـي ضغـط الحيـاة، لا أريـد أن أصطحـب معـي

تلـك الآلام بالمسـتقبل، وأول مـا قـرَّرت الاسـتغناء عنـه هـو ذلـك الاسـم.

- اسمي حواء.

ابتسـمت لغرابـة الاسـم في الوقـت الحـالي وندرتـه، نحـن لا ننطـق حـواء إلا حـين نشـير لوصـف سـيدة بامـرأة أو حـواء. لم أكـترث لاسـتغرابها أو فضولها، كنـت فقـط أريـد الخـلاص مـن الآلام. عـلى أي حـال ستشـاركني وقتًـا قصـيرًا وترحـل. بـدأتْ تـسرد لي بعـض التفاصيـل عنهـا، وعـن حيرتهـا بالاختيـار بـين عملـين أحدهمـا تعمـل بـه حاليًّـا، الآخـر تفكـر بالذهـاب إليـه، وكـم تخشـى أن تُخطـئ بالاختيـار. إن سـألتني تلـك الفتـاة عـن رأيـي قبـل عامـين كنـت أجبتهـا دون تفكـير أن تـترك كل مـا يزعجها، وتبـدأ بـشيء يسـعدها أكثـر، لكـن الآن لـدي مـن الخبرات مـا يجعلنـي أنتظـر حتـى تُنهـي حديثهـا. فمـن الممكـن أن تجـد حـلًّ مشـكلتها بمنتصـف كلامهـا، يمكـن أنهـا حـين تسـتمع إلى عرضهـا لموضوعهـا. تجـد الحـل بـين السـطور، أو تكتشـف أنـه لا توجـد مشـكلة أصـلاً.

إن لم تجـد هـي الحـل وإن كانـت بالفعـل مسـتاءة مـن عملهـا، سـأفكر معهـا في كل الجوانـب الأفضـل ماديًّـا

ومستقبليًّا، وإن كان هناك حل دون أن تضطر لترك ما أصبحت تمتلك خبرة كبيرة به. أعلم أن البداية من الصفر ليست بالأمر الهين، هي تهدر طاقة وعمر وأشخاص يمكن أن تفتقدهم إن لم يأتِ الأفضل.

تطرقت بكلامها إلى مكان آخر، أرادت أن تعرفني أكثر بنفسها، فأخبرتني أنها مقيمة بالإسكندرية وأن تواجدها بالقاهرة بسبب مشاركتها بمعرض الكتاب بأول أعمالها الكتابية، ابتسمت وهنأتها لكنني لم أخبرها أنني أيضًا كاتبة حتى لا تسألني عن تفاصيل أكثر، أطلعتني على بعض كتاباتها لأشاركها رأيي في أعمالها.

«أمينة عاشور»

«ممتنين»

نحن نحمل الشكر لجمال الودِّ والأشخاص الودودين، للتصرفات النبيلة غير المتوقعة، لكل العابرين الذين تركوا وراءهم ذكريات جميلة راسخة في قلوبنا، ممتنين لهم؛ لأنهم بعثوا بداخلنا الاطمئنان والسكينة التي تبث فينا الأمان.

لنكن ممتنين للصدف المفاجئة التي تجعلنا نخرج من

روتـين معتـاد، لتفاصيـل لـن تُنسـى مليئـة بـكل جديـد.

لنحمـل في داخلنـا كل الشـكر للأسـى ولليـالي الأليمـة التـي جعلتنـا تائهـين في طريـق لم يكـن يومًـا طريقنـا؛ والتـي جعلتنـا في إصابـات وجـروح أليمـة، الشـكر لـكل الخيبـات التـي جعلتنـي أسـتيقظ مـن الأوهـام..

شـاكرين للظـروف والصعـاب عـلى إرشـادها لنـا في وقـت كان الإرشـاد فيـه منعدمًـا، للمحبـين لنـا ممتنـين فهـم مَـن جعلـوا القلـب لـه نبـض يحيابكلماتهـم وكل جميـل يصـير، فنحـن مَـن اسـتمتعوا لـكل وبيـل ولم يملـوا، ولم يكـن هنـاك منهـم ضَجَـر مـن المعتـاد.

لنشـكر الحيـاة عـلى دروسـها التـي جعلتنـا نتعلـم ونتيقـن كيـف نعيشـها.

كان لك معايا..

جـاءت تلـك النغمـة الآن بمثابـة المنبـه بأنـه تبقـى عـشر دقائـق عـلى تحـرك القطـار، أخبرتهـا أننـي مضطـرة للرحيل حـالاً لألحـق القطـار فابتسـمت لتلـك الصدفـة أنهـا أيضًـا سـتنتقل بذلـك القطـار. اقترحـت أن تبـدّل مقعدهـا مـع أحـد مـن الجالسـين أمامـي أو بجـواري؛ لنكمـل حديثنـا

فرحبــت باقتراحهــا. لا أعلــم لمــاذا رغــم أننــي أحــب أن أســتمتع برحلتــي في هــدوء، لكــن الحديــث معهــا أيضًــا كان ممتعًــا بعــض الــشيء وتشــويش ذهنــي بعــض الــشيء.

***

الفصل الثاني

الطريق

رحَّب الشاب الجالس أمامي باقتراح «أمنية» وبدل معها مقعده، أنزلت ستارة الشباك لأتجنب ضوء الشمس، يكفيني أن أرى الطريق من بين فواصلها. بدأ القطار يتحرك وشيء بداخلي منذ الصغر يخشى تلك اللحظة، ينقبض قلبي حينها لا أعلم حتى الآن لماذا!! أنا سعيدة لذهابي لرؤية أمي وأختي وأهلي.

ولحصولي على إجازة ممتعة، وتاركة خلفي تلك الزحمة والضجيج والعمل والوحدة، أفهم ذلك الإحساس حين أكون عائدة؛ لأنني لا أريد تركهم، لكنها التزامات المنزل والعمل، لكن لماذا أشعر هكذا وأنا ذاهبة؟ هل لأنني أخشى الفراق كثيرًا؟ هل تذكرني تلك اللحظة بتركي خلف أشخاص وتكملت حياتهم وترك أشخاص خلفي وتكملت حياتي، أم أنني أخشى التغيير حتى وإن كان للأفضل.

انشغلت «أمنية» بهاتفها قليلاً وحدثت أنا أمي وأختي لأطمئنهم أنني بالطريق، وأجبت على رسائل (الواتساب) حتى انتبهت لتلك الصغيرة المشاغبة تشاغب أحدهم فالتفت وجدت شابة لم تصل للعشرينيات من عمرها تخبر أحدًا أنه مقعدها،

راقبت الحوار من بعيد وهو يؤكد على أنه مقعده، وبالنهاية كان محقًّا كالعادة، نحن النساء متسرعين ولن نتنازل. اطّلع أحد الركاب على تذكرتها فوجد رقم مقعدها (٢١) ومقعد الشاب هو(١٢) فسكتت وحملت حقيبتها التي رمتها على رِجل الشاب قبل ثوانٍ، وأدارت وجهها دون الاعتذار، لسوء حظي كان مقعدها بجواري، حدثت نفسي قائلة:

- آآآه، ربنا يستر.

نظرت إليها «أمنية» ولم أستغرب كانت العربة بأكملها تنظر إليها، لكن «أمنية» كانت تشبِّه عليها، بالفعل بدأت تسألها بعض الأسئلة من نوعية وجهك مألوف بالنسبة لي، فأخبروا بعضهم عن مكان إقامتهم بالإسكندرية والأماكن التي يترددون عليها، فمن الممكن أن يكونوا قد تقابلوا بأحدهم لكن ليس كذلك، فسألتها الفتاة المشاغبة أين كنتِ تقيمين في أثناء وجودك بالقاهرة؟ فأخبرتها وأخبرتها أنها جاءت من أجل مشاركتها بمعرض الكتاب، فضحكت الصغيرة ورفعت حاجبيها بدهشة، وأجبتها:

- إذن تقابلنا هناك، أنا أيضًا مشاركة بكتاب جماعي في

معــرض الكتاب.

لم تكــن دهشــتهم مثــل دهشــتي أنــا التــي كتمتهــا بداخلي،كيــف؟ مــا هــذه الصــدف الغريبــة هــل هــذه عربــة كُتَّــاب، أم؛ لأنني ذاهبــة بالموعــد نفســه وهــو انتهــاء معــرض الكتــاب؟ أم أن كل الكتَّــاب أو الموهوبــين يحبــون الانتقــال بالقطــار؟ أم هــو القــدر يجمعنا بأشــخاص تشــبهنا في وقــت معــين لســبب ســنعلمه فيــما بعــد؟ لم أَبُــحْ أكيــد بــأيٍّ مــن تســاؤلاتي إلا لنفــسي؛ فأنــا عرَّفــت «أمنيــة» عــلى نفــسي كشــخص مولــود مــن جديــد لا يحمــل معــه لقبًــا أو أي ذكريــات.

عرفتنا بنفسها:

- اسمي بسملة.

وعرفتهــا «أمنيــة» بنفســها وبي أيضًــا، وطبيعــي شــابة كأمنية بالعشرينيــات وعندهــا خــبرة بالحيــاة لم تضــع نفســها في موقــف محــرج، أو تحــاول مضايقتــي حــين ســمعت اســمي خبــأت اســتغرابها بتلــك الابتســامة البســيطة، وطبيعــي لم تفعــل هــذا تلــك المشــاغبة الصغــيرة التلقائيــة؛ فهــي لم

تستطع حبس ضحكتها وسؤالها حقًّا، هل موجود مثل هذا الاسم؟

كنت أنظر إليها بهدوء وابتسامة وأومأت برأسي بمعنى (نعم)، لم يكن تجاهلي لصدفتهم هو مَنْ يحركني الآن، لكن جدالها مع ذلك الشاب وتخليصه من فمها بصعوبة هو مَنْ حرَّكني بهذا الهدوء، قد تخطيت عمرًا بأكمله لا أتجادل مع شخص بحياتي؛ لأنني أخشى على نفسي كثيرًا، وكرامتي وعزة نفسي، ولم أضع نفسي بموقف يحرجني، لم أدخل حتى في نقاش حادٍّ مع أحد، فقط أتجاهل وجهة نظره إن كانت معاكسة لرأيي، حتى طفولتي كانت غريبة بالنسبة للجميع؛ فأنا لم أكن يومًا طفلة مشاغبة،كنت دائمًاشخصًا مريحًا للجميع، لا أريد إزعاج أحد، ولا أرفض لأمي طلبًا، بل أساعدها قبل أن تطلب ذلك، وحين أجلس باجتماعات العائلة لا أتدخل بحديثهم، ولا أحدث ضجة تزعجهم، وتعكر صفوهم وضحكاتهم. كنت فقط أراقب طريقة حديثهم، وتعبيرات جسدهم، وأكتسب منهم خبرة بالحياة، وخبرة بفن الحديث. عندما بدأت بسن المراهقة اكتشفوا بي موهبة الكتابة، وحبي لعلم النفس، ومقدرتي على فهم الآخرين،

ومعرفـة مـا يريـدون، أو مـا سـيخبرون بـه أحـد في أي موقـف، أعتقـد أن اتـزاني وهدوئـي هـو مـا سـاعدهم أن يكتشـفوني مبكـرًا، وسـاعدني أن أجـد طريقـي.

في اللحظـة نفسـها وصلتنـي رسـالة مـن ابنـة عمـي تخـبرني أنهـا سـتخبر أختهـا أن تسـتعجل بإرسـال إشـعارها لي، يتقطـع قلبـي حـين أفتـح رسـائلها، وأرى صورتهـا هـي وابنـة خالتهـا المتوفـاة مـن قريـب؛ تلـك الصغـيرة التـي لم تبلـغ مـن العمـر أربعـة وعشريـن عامًـا، توفـت بحـادث سـير بطريـق صـلاح سـالم، وتركـت بقلوبنـا جميعًـا وجعًـا عـلى شـبابها وخفـة ظلهـا وذكرياتهـا معنـا، رغـم أنـه لم تجمعنـي بهـا صلـة قرابـة، لكـن صداقتـي وقـربي مـن أبنـاء عمـي جعلنـي أتعـرَّف بهـا، وأصبحـت صديقـة مُقرَّبـة لي. ليتنـي لم أقابلهـا يومًـا، ولم تشـاركني ضحـكات وأوقـات جميلـة حتـى لا أحـزن عليهـا بهـذا القـدر، أجبـت عـلى رسـالتها ببعـض مـن الكلـمات المضحكـة محاولة تشويشـها قليـلاً والتخفيـف عنهـا.

كتبـت لهـا أن تخـبر أختهـا أننـي سـأقتلها تلـك الكسـولة، فقـد اقـترب موعـد انتهـاء الـدار مـن تجهيـز الكتـاب الجماعـي، وأنـا أريـد أن أجعلها تشـارك معهـم؛ لأن كتاباتها

حقًّا جميلة جدًّا ومعبرة، خلف إلحاحي على ابنة عمي بالمشاركة بكتاباتها مع أحد أصدقائي بكتاب جماعي هو حبي الشديد لهم، وإيماني بأن تلك البنات سيجبر الله بخاطرهن، ويصلن لأكبر مما يتخيلن لصبرهن على الحياة كثيرًا وطموحهن، لكن تلك المهندسة الكسولة لا تستطيع مشاركة أحلامها على أرض الواقع لكثرة انشغالها؛ لذلك قرَّرت مساعدتها بما أستطيع.

قاطعت «أمنية» متابعتي لهاتفي وهي تناولني الكتاب الجماعي الذي شاركت به «بسملة» لأطلع على كتاباتها، كنت أقرأ وأنظر لـ«بسملة» بإعجاب لجمال الخاطرة وأسلوب سردها..

«بسملة السيد»

«خاطرة»

إلى الأرواح الجميلة التي كانت في حياتنا، وسبب سعادتنا، وفي لحظة كان الفراق فاصلاً بيننا.. إلى الأرواح الجميلة التي ما زلت أتخيل نفسي معها، لكن الأحلام هي الحليف بيننا. إلى الأرواح التي

ما زلت أفتقدها وأتألم على فراقها. إلى الأرواح الجميلة التي كانت سبب سعادتي، ولكن في لحظة تركتني وغادرت الحياة. حتى الآن أتذكر كل تفصيلة بيننا، حتى الآن أتألم على مفارقتكم لنا، حتى الآن لم أدرك أنكم تخليتوا عنَّا، فأنا لن أنساكم ولو بعد حين؛ فكل تفصيلة تأتي في عقلي وكأنها تحدث الآن. لم أكن مستعدة لهذا اليوم بعد، لكنكم أخذتمونا على حين غفلة، لم نكن نتوقع منكم هكذا، لكننا نعلم أنه ليس بإرادتكم؛ لأن الموت أخذكم فجأة مثلما تفاجأنا نحن بمغادرتكم للحياة..

كان لك معايا..

ماذا؟؟

هـل صاحـب أو صاحبـة تلـك النغمـة معنـا أيضًـا بالعربـة نفسـها، أم أنهـا مـن البدايـة كانـت تخيـلاتي؟ هـل أسـمع شـيئًا غـير موجـود؟ وقفـت أبحـث بعينـي لأتأكـد أننـي لم أفقـد عقـلي بعـد، إعجـابي بتلـك النغمـة تحـوَّل لفضـول، ثـم تحـوَّل لإزعـاج. اسـتغربت «أمنيـة» لوقـوفي والتفـاتي هكـذا، وسـألتني هـل أبحـث عـن أحـد. بينـما كانـت «بسـملة» فَزعـة مـن تعابـير وجهـي الحـادة المنزعجـة، وقفـت وسـألتني هـل ضايقنـي أحـد؟ أخبرتهـا أن تُجلـس فتـاة المشـكلات هـذه وأنـا مبتسـمة***

بينـما كانـت واقفـة تبحـث عـن أحدهـم وجـدتُ بيديهـا أداة نجـاتي؛ هـذا الجهـاز الصغـير المتصـل بهاتفهـا الـذي يدعـي (البـاور بانـك) لكـن كيـف سأسـتعيره منهـا، مَـنْ قـد تعتقـد أنني أعاكسـها. وتلـك الصغـيرة التـي كادت أن تـضرب صديقـي من أجـل المقعـد، وبعـد معرفتهـا لغلطها لم تلتفـت حتـى لتعتـذر. قـد تهيننـي وتجعـل العربـة بأكملها تضربنـي، ومـن الممكـن أن يكونـوا بشوشـين وهادئـين مثل هـذه الضحكـة التـي كانـت عـلى وجههـم منـذ قليـل، مـا كل هـذه الحـيرة؟! كيـف لنـا ألا نتوقـع كيـف تكـون ردة

فعل النساء لا بوقت السعادة، ولا الحزن ولا أي وقت، نفد شحن هاتفي وسأتعرض للفصل بالتأكيد إن لم أخبر مديري أولاً بأول عن مكاني، وإن لم أنتهِ من تجهيز هذا الإعلان خلال ساعة، أيضًا ستقلق والدتي كثيرًا فكل شيء يقلقها علينا، كيف بهاتفي المغلق في أثناء سفري، ماذا أفعل؟ نعم وجدتها! التفت إليّ صديقي أخبره أن يستعدَّ لأعرِّفَه على أحدهم سألني مَنْ؟ تركته وذهبت إليهم قبل أن أجيب التفت هو وراقبني.

- مساء الخير.

نظروا لبعضهم باستغراب ولم يجيبوا عليَّ، شعرت بغبائي مَنْ يقول مساء الخير الساعة التاسعة صباحًا؟! لكن بالنسبة لشخص لم يغفُ منذ أمس ما زال مساءً، بلعت ريقي مرة أخرى وابتسمت، وقلت:

- صباح الخير.

هذه المرة لم ينظروا إلى بعض، ولم ينظروا إليَّ أيضًا، تلك المتعجرفة الأولى تجلس بجوار النافذة، تقلِّب بهاتفها، والمتعجرفة الثانية تجلس أمامها تقرأ كتابًا، والمشاغبة الصغيرة تأكل بعض المخبوزات، وتحتسي حليبًا مختلطًا

بالشـيكولاته.

رغـم طفولتهـا هـي مَـنْ نظـرت إليَّ وردت بصـوت مرتفـع قليلاً :

- خير؟ فيه حاجة؟

بلعـت ريقـي وحدثـت نفـسي أن المضطـر يركـب الصعب، أخبرتهـا عـن أسـفي الشـديد لسـوء التفاهـم الـذي حـدث ببداية اليـوم، وأن صديقـي أيضًـا يريـد أن يعتـذر لهـم، لكنني جئـت لأسـتأذنهم يسـمحوا لـه بذلك، طـوال حديثـي معهـا كانـت عينـي عـلى تلـك المتعجرفـة صاحبـة (البـاور بانـك) العالقـة بشاشـة هاتفهـا، ردَّت الصغـيرة.

- بصـلي أنـا هنـا أنـت باصـص فـين، همـا ماهـم أنـا الـلي متخانقـة مـع صاحبـك.

بتلـك اللحظـة نظـروا لبعـض وضحكـوا كثـيرًا عـلى خفـة ظـل صغيرتهـم، نظـروا إليَّ الثلاثـة فعـدت للخلـف قليـلاً أفكـر مـاذا سـيحدث لي بعـد لحظـة مـن الآن، تركـت هاتفهـا ورفعـة قدمهـا عـلى الأخـرى وهـي تجيـب بمنتهـى الهـدوء بأنـه لا بـأس قـد مـرَّ الأمـر.

كيـف أفتـح حديثًـا آخـر بعدمـا أغلقـت حديثـي بتلـك البسـاطة؟ هـل أخبرهـا ببسـاطتها نفسـها أننـي أريـد الشـاحن، لا أسـتطيع. هـا قـد أتـى مُنقـذي لكـن الله يعلـم إن كان سـينقذني أم سـيزيد الموقـف سـوءًا؟ كان المقعد أمام الشـابة الصغـيرة فارغًـا، فجلـس صديقـي عليـه فحدَّقـت عينـي لـه لكنـه لم يلتفـت لي، أخـذ شـيئًا ليأكلـه مـن العلبـة التـي أمـام الفتاة، كـدتُّ حينهـا أن أسـقط عـلى الأرض ممـا سـيحدث حـالاً، نظـرت إليـه الفتـاة التـي بجانبـه وسـألته:

- مـاذا تريـد؟ أخبرنـا صديقـك ألا تـأتي، قـد انتهـى الموقـف، ولا نريـد اعتـذارًا.

ابتسـمت حينهـا؛ لأننـي فهمـت أن ذلـك الثعلـب كان يضيـع الوقـت دون حديـث حتـى يُخـرجَ الحديـث مـن أحدنـا؛ ليفهـم مـا يحـدث كـي لا يخطـئ أمامهـم.

ردَّ عليهـا بابتسـامة ونظـر إلى الصغـيرة وحدثهـا أنهـا هـي مَـن يجـب أن تعتـذر لـه، ومـع ذلـك هـو الأفضـل ويعتـذر لهـا وسـيكتفي بتلـك (البقسـماطة) كمراضـاة لـه، ردَّت قبـل أن يكمـل حديثـه:

- أنـا مرضتـش حـد بحاجـة، والبقسـماطة دي يـا سـيدي أنـا اعتبرتهـا حسـنة منـي لشـخص غلبـان.

أوووه نظرنـا جميعًـا لـه ونحـن نشـعر بالاسـتياء لإحراجهـا لـه،كان وجهـه الأبيـض قلبًـا أحمـر هـو وأذنيـه، وبالتأكيـد ارتفعـت حـرارة جسـده، ردت أحدهـم محسِّـنة للموقـف:

- بسـملة بتهـزر شـكرًا عـلى اعتـذارك، وهـي كـمان آسـفة محصلـش حاجـة.

عندمـا أبعـدت النظـارة عـن عينيهـا وجـدت نفـسي أنظـر إلى عينيهـا مبـاشرة، لمـَن تلـك العيـون المألوفـة لي بلونهـا البنـي اللامـع؟ سـألتها هـل تقابلنـا بمـكان؟ أنـا أعرفهـا جيدًاكأنــه سـبق لنـا الجلـوس معًـا بمـكان، ابتسـمت وأومـأت برأسـها: لأ، أعلـم أنهـا تعتقـد أننـي أحـاول أن أشـاركها الحديـث بـأي حـوار، لكننـي بالفعل كنت أشـعر هكـذا. لم أسـتطع إبعـاد نظـري عنهـا طـوال الحديـث، اعتـذرت «بسـملة» لصديقـي بعـد إداركهـا خطئهـا، وناولتـه بعـض مـن الطعـام، ابتسـم وأخـذه منهـا وتبادلـوا الحديـث، عرَّفتـه أيضًـا بصديقتهـم الأخـرى وأطلعتـه على كتاباتهـم.كل مـا كنـت أنتظـره طـوال حديثهـم مـا هـو اسـم هـذه؟ ولمـاذا تتجاهـل وجودنـا وتنظـر إلى هاتفهـا؟

نسيت حتى سبب مجيئي لهم، ونسيت هاتفي وفصلي من العمل في القريب جدًّا، وخوف أمي. نظرت إليها ووجهت كلامي لها: اسمي آدم ما اسمك؟

نظر إليَّ صديقاتها باستغراب لا أعلم لماذا هل لاقتحامها هكذا؟!

كنت أعلم أنه يوجه الحديث لي، لكنني تظاهرت بعدم الانتباه دون أن أنظر لأمنية وبسملة، متأكدة من استغرابهما لتلك الصدفة ومتوقعة تعبيرات وجهيهما، ماذا يريد هذا؟ هل جاء ليكشف غموضي لهما؟ نعم أتذكره وبشدة، رأيته ذلك اليوم بمعرض الكتاب، ووقَّعت له نسخة من روايتي لكنني لم أوقعها باسمه، وقعتها كما أوقّع لأي شخص غريب بكتابة جميلة لائقة، واسمي والتاريخ. أتمنى ألَّا يتذكرني هل حافظت على شكلي كل هذا العمر؛ ليأتي ذلك الغريب ويكشف أول كذبة بحياتي، والتي لم أُرِد من خلفها شيئًا سوى الهروب من كوني أنا لبعض الوقت، ومع بعض الأشخاص. لكن هل حقًّا هذا اسمه؟ أم إنه أيضًا هارب من نفسه مثلي، وهل الدنيا صغيرة لهذه الدرجة؟

أجابتــه «أمنيــة» باســمي فلــم أســتطع الهــروب بعينــي، التفــت إليــه بابتســامة؛ لأنهــم أوضحــوا أن الحديــث موجــه لي.

نظــر إليــه صديقــه باســتغراب، لا أعلــم هــل يســتغرب مثــل البنــات عــلى تلــك الصدفــة، أم يســتغرب نكرانــه لاســمه الحقيقــي، وهــل بالفعــل هــو مثــل مــا أفكــر هاربًــا مــن نفســه بذلــك الاســم أم إنهــا خيــالاتي.

قاطــع شرودي وتركيــزه معــي «أحمــد» صديقــه وهــو يقــرأ خاطــرة «أمنيــة» بصــوت مرتفــع ليســمعه «آدم».

«أمنية عاشور»

«اجتهاد»

فِي كُل حُـزن مـررتُ بـه، وكل بـؤس، كنـت دائـمًا أجتهـد كُل الاجتهـاد؛ لأحتفـظ بالسـمات الجيـدة بداخـلي بقلبـي الـذي يتميـز عـن غيره، كُنـت مـع الخـذلان المسـتمر مـن الكثيريـن أحـاول ألا أفقـد كُل الحلـو فِي نفسـي، وفي كل مـرة كنـت لا أجاهـد فقـط كُنـت أحـارب بـكل جيـد فيّ.

تلـك الملامـح التـي نسـتطيع أن نُنـادي بهـا الأشـخاص التـي ألفناهـا، وتلـك الأسـماء التـي نُنـادي بهـا لـو فقـدت واختفـت في الوقـت الـذي خُذلـت قلوبنـا فيـه لأصبـح الأمـر أكثـر عـدلاً مِـن ذلـك.

اليـوم تجتمـع الكلـمات التـي كتمتهـا في عينـي، وأصبحـت عينـي تنطقهـا رغـمًا عنـي، أصبـح الحُـزن بيّنًـا، أصبـح ضعفـي وانهزامـي فِي غايـة الوضـوح، قلبـي فِي صـورة مؤلمـة، ويـا ليتـه كان يمـوت قبـل أن يكـن عـلى هـذه الصـورة.

اليوم يصرخ من داخلي ليتخلى عن كبريائي، أقف هنا أمام سنوات الانهيار، أقف لأرى انهياراتي، وأستمع لبكاء طويل كُتِمَ لسنوات،كان اليوم سيمر إن كانت هنا يدّ تخفف عليَّ ثورته، كان يمنع كُل هذا حُضن؛ فالماء الساخن ينهمر على وجنتي كشلال ثائر ليسقط فِي نهر الحُزن الذي أذوب به.

عَرفتُ أنني خسرت معركة الجهاد فِي المحافظة على كُل ما يُميز قلبي عن غيره ويُميز ذاتي، تأكَّد أن الحياة لا بُدَّ أن تأخذ مِن قلوبنا ما نُحاول أن نخفيه عنها فِي يوم.

ليتني لم أسمح لأمنية بالجلوس معي، ليتني من البداية لم أتشارك الطريق مع أحد مثلما أفعل دائمًا، وضعت نظارتي ورفعت الستارة عن النافذة لأنظر للطريق حتى أصل، لا أندم على تلك الكذبة الآن. أندم أنني تخليت عن وعدي لنفسي بأنني لن أتعرف على أشخاص جُدد وسأكتفي بعائلتي. الآن أريد أن تنشق الأرض وتبتلعني حتى لا أُحرَج أمام نفسي، لا يهمني شخصًا غيري إن وُضِعتَ بهذا الموقف، سيحرجني أمام نفسي لن أبرِّرَ شيئًا ولن أعتذر، سأتركهم وأرحل دون

تفسـير، لكنهـم بالتأكيـد لـن يتركـوني دون أن أفـسِّرَ لهـم هـل مـا آلمنـي لسـنوات سـأشرحه لشـخص بدقائـق، ولماذا يجب عـليَّ أن أشرح شـيئًا لشـخص غريـب حتـى إن اعتقد أننـي هاربـة مـن جريمـة، لـن أوضـح لـه أو لهـم شـيئًا، قـد عكَّـر مزاجـي هـذا الآدم، لكنـه مـا زال يقـف بهـدوء ينظـر إلي كلـما سـنحت لـه الفرصـة. الآن ألتفـتُ للطريـق لأقطـع حديثـه معـي، وأدعـو ألا يشـاركوني حديثهـم مـرة أخـرى.

عـدة دقائـق وينتهـي كل شيء، لفـت انتباهـي عنـوان تلـك الخاطـرة بإحـدى جروبـات (الفيـس بـوك) فاطلعـت عليهـا.

«سهيلة الديب»

«عدة دقائق وسينتهي كل شئ»

أرجـو أن تعثـر عـلى السـلام في أحـد الطـرق الهادئـة في ضجيـج الموسـيقي، في قهوتـك الصباحيـة في صنـدوق خفـي، لا أعلـم كيـف ومتـى وأيـن، بـل كل مـا يجب أن تعلمـه أني حاولـت كثـيرًا، حاولـت ولم أجـد الطريـق، لم أجـد تلـك الموسـيقى حتـى قهـوتي أسـاءت المـذاق، ويجب أن تعلـم أيضًـا أن صندوقـي كان فارغًـا، فحاولـت أن أختلـس نظـرتي الأخـيرة فرأيـت عنـد أحـد الزوايـا أنـوارًا تتوهـج، ورمـالاً تتأرجـح وكأنهـا تتحـداك بالغـوص بـين أعماقهـا، سـحبتُ عصـا مـن بـين تلـك الأشـجار المتسلسـلة باحثًـا عـن الصـوت، هـذا الصـوت الـذي يهتـف بالمسـاعدة دون حديـث وكأنـه يريـد منـك المجـيء دون رؤيتـه، فهـل تعلمـون شـيئًا عـن الغميضـة؟ نعـم كان التحـدي صعبًـا وكأنـه شـبح، وأصعـب مـا يتعلـق بالأمـر ـــ يـا عزيـزي ـــ هـذا الظـلام الـذي يرحـب بـك قبـل تخطـي سـلمته الأولى وكأنـه عـالم مـن الانتقـاض، شيء

يعكس ماهيته، يتمنى شيئًا رافضًا إيَّاه فلا تسمح لروحك بالانتشار. فقط ستذهب ولن تجد طريق العودة، وكان الباب موصدًا ولا يوجد فرصة، تمسَّك وحاول من جديد، فدائمًا هناك مفتاح أسفل الباب، لكنه الآخر غريق. ومن هنا توقفتْ سُبُلَ النجاة وتزاحمت الأفكار، وأصبحت السماء قريبة، ويزداد لونها لاحمرار. وكان اليوم ينتهي وأنت ما زلت مقيدًا بين عالمين، لا تريد الانتهاء قبل اتخاذك القرار، قرار مأساوي يتعلق بأحد مصابيح الحياة إما الانطفاء، أو بداية جديدة مع بصيص النور ....

لم تلفت لي عندما كنت أحدثها حتى نبهتها صديقتها أنني أتحدث إليها، شعرت أنني ثقيل عليها، ولا تريد تبادل الحديث معي، طلبت منها (الباور بانك) الذي لم أعد أكترث له ولا لهاتفي، بل كنت أريد -وبشدة- الحديث معها لا أتذكر هل رأيتها حقًّا أم لا؟ ولا يهمني أيضًا،كنت أتمنى أن أتعرف عليها مما نحن عليه الآن، ناولتني الشاحن بهدوئها المعتاد، وابتسامتها الخفيفة التي تعبر عن رقُيِّها، عدت لمقعدي بخيبة أمل أكبر من خيبة أملي إن كنت طلبت الشاحن منذ البداية ورفضت، لماذا كل فضولي هذا تجاهها؟ هل

لعـدم اكتراثهـا لي أم أن بهـا شـيئًا؟ حقًّـا أريـد اكتشـافه، لمـاذا عيناهـا مليئـة بالحـزن والألم وضحكتهـا كضحكـة طفلـة بريئـة لم تلوثهـا الحيـاة؟

أخبرتنـي «أمنيـة» أننـا قـد اقتربنـا عـلى الوصـول فطلبـت منـي أن أشـاركهم الحديـث قليـلاً، قـد لا نتقابـل مـرة أخـرى أو قـد يجمعنـا القـدر، ثانيًـا طلبـتْ رقـم هاتفـي وتبادلـتْ هـي و«بسـملة» أرقامهـما لا أريـد أن أتبـادل معهـن رقمـي فأخبرتهـن أن يخـبروني أرقامهـن وسـوف أراسـلهن.

لمـاذا أشـعر بالفـراق مـرة أخـرى ذلـك الشـعور الـذي أكرهـه؟ لمـاذا أحببـت حديثنـا وذلـك الوقـت الـذي تشـاركناه معًـا؟ لمـاذا عينـي معلقـة بمقعـد ذلـك الغريـب كـي آراه دون أن يـراني؟ لا أريـد أن أتعلـق بأحـد، لا أريـد أصدقـاء مـرة أخـرى، أو دخـول أي شـخص غريـب حيـاتي. يكفينـي مَـن خذلـوني وتعبنـي فراقهـم لكنـه كان الحـل الوحيـد. لم أكـن ضحيـة أحـد، أنـا أيضًـا شـاركت بتعبـي، بـل أنـا الفاعـل الأول عندمـا كنـت شـخصًا مسـتباحًا تحـت شـعار أننـي اجتماعيـة، جعلتنـي تلـك الاجتماعيـة أعطـي قيمـةً ووقتًـا للجميـع، بـل جعلـت

قيمة مَن أحبهم أكبر من حبي لنفسي. شاركتهم بكل أوقاتهم لدرجة أنني قصرت تجاه مستقبلي؛ لعدم وجود وقت كافٍ لنفسي، منحتهم الكثير من المجهود، أستمع لحديثهم بإنصات أشاركهم بقلبي، وعندما انتهت شكوتهم من كل من حولهم والتفتوا فلم يجدوا غيري بجوارهم، بدأوا بتشكيكي بنفسي وحبي لهم، أصبحت أشك بنفسي فعلاً؛ كي لا أكذبهم كنت أسأل نفسي كأنني لم أعرفها، هل حقًّا فعلت كذا؟ هل حقًّا كانت نيتي كذا حين نطقت بشيء جيد، توهت بسببهم وخرجت من حالي إلى حال شخص يجلد ذاته دائمًا، لم أفهم أنه هو طبع البشر يلومونك دائمًا حتى يغضبونك أكثر، وحتى لا تشعر أنت بتقصيرهم وعيوبهم، لكنني لم أطلب منهم شيئًا، أحببتهم كما هم، ولا ألومهم على شيء. قرَّرت ألَّا أضع نفسي مع أحد موضع اتهام، أنا لست الشخصية التي تبرِّر أو تدافع عن نفسها. نهيت تلك العلاقات طالما أنهم يروني مقصرة لن أستنزف أكثر، لكن رحيلي عنهم تَرَك بداخلي وجعًا وحزنًا كبيرًا، تلك الذكريات ـــ التي هي كل عمري ـــ لم تكن أمرًا هينًا تخطيها؛ لذلك لا أريد العودة للقاهرة مرة أخرى حتى أتخطاهم، ولا أريد

أشــخاصًا جــدًا بحيــاتي.

كان لك معايا..

نطقــت هــذه الجملــة قبــل أن تقاطعنــي هــذه النغمــة، لم أكــترث هــذه المــرة للنغمــة، وهــل حقيقــة أم خيــال؟ ركَّــزت بجملتــي أننــي لا أريــد العــودة للقاهــرة، هــل حقًّــا سأســتقر بالإســكندرية أم أننــي ســأفكر بالســفر لبلــد جديــدة، لمَ لا؟ مــا كان يربطنــي بالقاهــرة لم يعــد موجــودًا، قــد تــوفى والــدي وذهبــت أمــي للإســكندرية. لمَ لا أفكــر بالإقامــة مــع أهــلي، عــلى أي حــال أمامــي أســبوعين أفكــر جيــدًا بهــذا الأمــر، وأشــارك خــالي الــذي أثــق برأيــه.

انتبهــت لســرد «أمنيــة» و«بســملة» لخواطرهمــا وشــعرت بتأنيــب الضمــير؛ لأننــي أحــاول أن أشــوش عقــلي عنهــما، لا بــأس أن شــاركتهما ذلــك الوقــت باهتــمام فقــط دون حــب أو تعلــق..

«أمنية عاشور»

«إهداء»

إِلىٰ الأشـخاص الذيـن كَانَـوا سَـببًا فِي انْطِفَائِـي، وذِهَـاب شَـغَفِي، وزَوال ضَحِكَتِـي وتَبَسُّـمِي، وفُقْـدَانِي الثقـة بنَفْـسِي ومَـنْ حَـولي، إِلى كُل مَـن حَطَّـمَ فِيَّ الشُّـعُور، وأطْفَـأَ كُلَّ بَريـقٍ ينبـع مِـن داخـلي. إِلىٰ كُل شـخص كان سـببًا فِي سـقوطي مـن فـوق الحافـة إِلى الهاويـة دُون أَدنـى سَـبب، إلى كُل مَـن جعلنـي مُعلقـة في المنتصـف لا أعلـم أيـن تقصـيري، ومـا سـبب تعلقـي، أريـدُ إخباركـم أننـي لَمَ أسـقط عـلى هَاويـة أبديـة، بـل سـقطت سـقوطًا مؤقتًـا، وعـدت لأريكـم جميعًـا مَـن أنـا، وأجعلكـم تعلمـون أنكم لا شيء أمـام قوتي، كُنتـم جحيـمًا وبفضـل الله خرجـتُ، عـدت مـن الجحيـم يـا مَـن ظننـت أنني سـقطت بـلا عـودة فلقـد عـدت.

«أمنية عاشور»

«الصديق»

أريـد أن اقـرأ لـك كُل القصائـد، وأريـك كُل الصـور، أن نـزور كُل الأماكـن ونـشرب كل أنـواع القهـوة، أعلـم أنـك تحب القهـوة وأنـا أحب وجـودك يـا صديـق دربي. أريـد أن نتجـول معًـا في الطُـرق ونـأكل معًـا، نتجـول في كُل المتاحـف، وبـين جـدران المنـازل القديمـة، أن أرى كل معـالم الحيـاة الجيـدة والسيئة وألمسـها بأصابعـك أنـت. أن الضحـك في الشـوارع معـك والركـض تحت الأمطـار لـه مـذاق رائـع.

أريـد أن أصنـع الذكريـات الكثـيرة معـك صديقـي، والتقـاط صـور كثيرة لنـا في جميـع الأماكـن التـي ذهبنـا إليهـا. الجلـوس عـلى الشـاطئ يبعـث البهجـة بي، حديثنـا معًـا عـن تفاصيـل يومنـا يجعلنـي أبتسـم وأسـعد، أريـد أن أكـون فقـط مـن يُريـك الجانـب الحـي مـن كل هـذا التعقيـد، والمـوت الـذي يدعونـه حيـاة، سـتصبح الحيـاة دون تعقيـد بوجـود ذلـك الصديـق الـذي نتشـارك معـه كل التفاصيـل وكل شيء.

«أمنية عاشور»

«إدراك المعاناة»

إن إدراك المـعاناة يجعلنـا نتأقلـم فيـما بعـد عـلى إدراك النهايـات أيًّـا كانـت، فـإن النهايـات السـعيدة كُتبت لأولئـك الذيـن يُدركـون أن المـُعاناة هـي أسـاس الحيـاة، وأن الحُـب يوجـد بـه المـُعاناة، ولكـن عنـد مواجهـة تلك المـُعاناة لا تـترك يـدي، وبرغـم الضبـاب الكثيـف بيننا إلا أني لم أبتعـد ولـن أبتعـد، ومهـما كثـرت العواصـف إلا أن يـدي مُتشـبِثة بيـدك، مُتمسـكة بـك بـكل قوتهـا، وأعلـم أنـك تحـاولَ ألا تُفلـت يـدي..

لم يكـن المـوجُ يومًـا هادئًـا، بـل كان يعلـو ويهبـط وكأنـه في حالـة مزاجيـة غـير سـوية، وحـدي في المحيـط فِي انتظـارك تـأتي، فِي انتظـار أنـك هنـاك في نقطـة مـا مـن المحيـط تبحـثُ عنـي، وأنـك لـن تيـأس مـن البحـث؛ بـل سـتظل إلى أن تجـدني، أشـعر بوجـودك وبوجـود طيفـك حـولي حتـى وإن لم تكـن موجـودًا.

مُجـرد عثـوري عـلى اليابسـة وخروجـي مِـن المحيـط أتيقـن أني سـأجدك، سـتجمعنا اليابسـة وبعـد أعاصـير وأمطـار غزيـرة، وبعـد كُل هـذه المعانـاة سـتكون النهاية السـعيدة..

لم يكـن الحـب يومًـا فراشًـا مُريحًـا، وكلـمات معسـولة وفطـورًا شـهيًّا، الحـب هـو أن يمـروا بـكل المعانـاة ومـا زالـوا متمسـكين ببعـض، ويسـتلقون مُتلاصقـين في مـكان واحـد بـلا حواجـز بـلا أي قيـود، لا يهـم مـا إذا كان هـذا المـكان مُريحًـا أم صلبًـا، لا تهـم الكلـمات المعسـولة، ولا يهـم إفطـار شـهي، ولا يهـم أي شيء بقـدر مـا تهـم تلـك الضمـة الصامتـة التـي تعنـي الراحـة بعـد كُل مُعانـاة، والهـدوء بعـد تلـك العواصـف، والـذي يهـم أكثـر وأكثـر هـو ذلـك التفاهـم بلغـة العيـون دون كلـمات..

«بسلمة السيد»

«التفكير»

لقد أهلكني التفكير، جعلني أتألم في مساء كل ليلة بصمت. فقط أفكر وأحزن وأتألم وأبكي. شعور ما يجعلني أختنق. بداخلي آلاف الأشياء تزعجني وتجعلني أظل أفكر وأختنق. يؤلمني ألم القلب.. ألم الحزن.. ألم الفراق.. ألم الخذلان.. ألم الحياة.. الصراع بداخلي يؤلمني، الصراع بين القلب والعقل؛ فالقلب دائمًا يقول لي ما يشعر به، والعقل يتحدث ويقول ما يفكر به، التفكير في الأمور السلبية يتعب والتفكير في الأمور الإيجابية أيضًا يُتعب..كل شيء يتعب.. يظل الإنسان يفكر ويفكر حتى يسقط أرضًا وهو يتألم، ثم يفقد الوعي ويذهب لعالم آخر.. فبداخلي الأُلف من الأرواح،كل روح تتحدث برأي مختلف، وجميعها بصراعات داخلي.. فقط أتألم من كثرة التفكير.

«بسلمة السيد»

«الوحدة»

الوحدة.. شعور مؤلم عندما تشعر بالوحدة، وأن الجميع قد تخلّى عنك وتركوك وحدك.. فقط في ذلك الوقت تشعر بالخذلان والحزن والألم الشديد، فأقرب الأشخاص إليك أصبحوا الآن أبعد الأشخاص عنك وعن حياتك. ولا يمسوها بأي شيء إلا صلة القرابة أو الصداقة. في ذلك الوقت فقط تشعر أن روحك تتمزق، وأنك وحيد. فعندما تكون مع الآلاف من الأشخاص ستشعر بالوحدة والانكسار والضعف والهزيمة، وتفقد العزيمة، والقوة، والشجاعة. فكم يؤلم هذا الشعور! فكم يتألم مَنْ يشعر بالوحدة..

«بسلمة السيد»

«على مايرام» لم

أنـا التـي كنـت أحـب الحيـاة وابتسـامتي تمـلأ المـكان بالبهجـة، لكـن مع مـرور الوقـت كسرتنـي الحيـاة جعلت وجهـي يشـيب ويبهـت. أنـا التـي كنـت أنظـر للحيـاة بأمـل، الآن لا أنظـر لأحـد. حاليًـا أصبحـت أخفـي أحـزاني، شـاب وجهـي وأنـا أحـاول أن أضحـك أمـام الجميـع، وأنـا بداخـلي أتـألم وأبكـي وأحـزن. دائـمًا أنظـر إلى نفسي في المـرآة وأقـول أهـذه حقًّـا أنـا؟ فـماذا حـدث بي؟ أهـذا الحـزن سـيدوم طويـلاً؟ أم هـذه مرحلـة فقـط مـن حيـاتي وسـأعود عـلى مـا يـرام.

قـرأت لنـا «بسـملة» خواطـر فتـاة شـاركتهم بالكتـاب الجماعـي، وتعرفـت عليهـا بالمعـرض.

«سلمى محمد»

«وحيدة»

دائـمًا مـا كنـت وحيـدة، حزينـة لا يوجـد لـدي أمـل في الحياة، لكـن تعايشـت مـع وحـدتي حاولـت إسـعاد نفسي دون أي أحـد، وحينـما تذكـرت كل الأشـخاص الذيـن تركـوني وحيـدة. سـعدت لأننـي وحيـدة، ولا يوجـد أحـد يسـتطيع كـسري وهدمـي مـن جديـد؛ فالوحـدة قاتلـة، لكـن في بعـض الأحيـان تكـون أفضـل شيء بالحيـاة.

«سلمى محمد»

«التغيير»

في بعـض الأحيـان نحتـاج إلى تغيـير، حقًّـا نحـن نحتـاج فـترة مـن التغيـير كـي نحـب ونراجـع أنفسـنا، ونعلـم أنـه لا يوجـد حتـى الآن أحـد خلـق ليحزننـا أو يسـعدنا. فحزننـا وسـعادتنا بأيدينـا وليسـت بأيـدي الآخريـن.

***

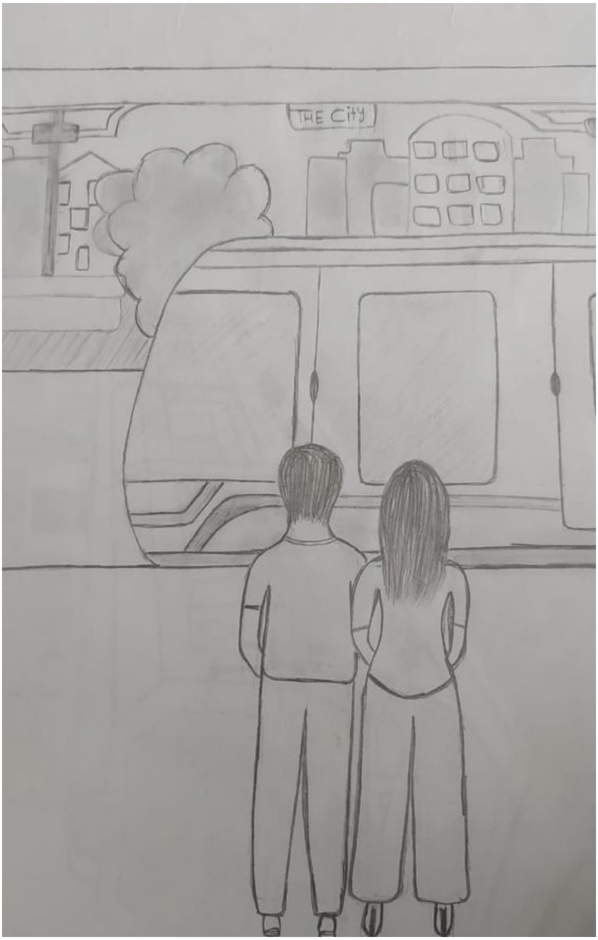

الفصل الثالث

الوصول إلى وجهتك

ها قد وصلنا سيدي جابر بدأت ملامح الإسكندرية الجميلة تتضح أكثر

- ما ترد عليها يا آدم، تليفونك عمَّال يفصل من كتر اتصالها.

- مش قادر يا أحمد مش طايق أسمع صوتها.

- دي حتى متعرفش أنت سيبتها ليه، فهمها واطلب منها متكلمكش تاني.

- أقل حاجة تستاهلها إنها متبقاش فاهمة هي موجوعة ليه زي ما اتسببت في وجعي وحسستني إني مغفل، أول ما أوصل إسكندرية هشتري خط جديد عشان أخلص من زنها.

- ليه كل ده؟

- ليييه! أنت اللي بتسأل ما أنت كنت معايا وعارف كل حاجة بقى البنت اللي بحبها بقالي أكتر من سنة وحبيت أفاجئها وآجي أخطبها أتفاجئ أنا بالصدفة، وأنا شايف طفل في إيديها وبيقولها: ماما واسأل في شارعها يقولولي منفصلة وده ابنها، أنت فاهم أنا

كنت حاسس إيه وقتها.

- بس هي منفصلة يعني مش متجوزة وضحكت عليك، هي خبت حاجتين كبار آه بس أكيد كانت خايفة تخسرك.

- وهي كدة مخسرتنيش، وقلت من نظري لما عرفت إنها كدابة، أنا مشكلتي يا أحمد مش إنها مطلقة ولا في الطفل، أنا مشكلتي فيها هي استغفلتني.

- طب ما ترد عليها بدل ما هي قالبة الدنيا، وأنت عاملها بلوك من كل حتة.

- اللي بيرد يا أحمد بيبقى في نيته يعاتب أو يسمع من الشخص التاني حاجة تهديه وتخليه يسامحه، لكن أنا مش عايزها تاني.

- طب والشغل اللي أنت موقفه بقالك أسبوع ده هتفوقله أمتى؟ أنا مرضتش أسيبك في الحالة دي، وأرجع إسكندرية بس أستاذ ياسر مش هيفضل صابر علينا أكتر من كدة، وقالك على إعلان لازم

تخلصه النهاردة ضروري ولسة مخلصتهوش.

- إعلاان!! إعلان يا أحمد أيوة.

- إيه ده فيه إيه أنت اتفاجئت بكلامي.

- أصبر بس سيبك من أستاذ ياسر دلوقتي، حواء أنا عملت لواحدة شبهها بالظبط إعلان لروايتها على الفيس من حوالي أسبوعين بس مكانش اسمها حواء.

- إزاي يعني؟ ولو هي كاتبة هتخبي ليه وهتغير اسمها ليه؟

- مش موضوع تخبي هي أصلاً متكلمتش معانا، واسمها ممكن يكون في الحقيقة غير اسم الشهرة.

- كانوا أصحابها هيعرفونا إنها كاتبة زي ما عرفونا على نفسهم، وعلى كتاباتهم هتلاقي تشابه بس.

- رقمها، بس أنا هرن على رقمها لو هي هعرف لما ترد.. يا الله مش لاقي الرقم مسجلتوش وراح من الاتصال، طب وليد صاحبي اللي كان مديها رقمي عشان تتواصل معايا أكلمه أطلب منه رقمها.

- هتقوله إيه؟ عايز الرقم ليه؟

- ممكـن أقولـه في غلـط في الحسـاب بعتتـلي فلـوس زيـادة وعايـز أرجعهلهـا.

- والله، واكتشفت ده بعد أسبوعين.

- اسـم الروايـة الـلي عملتلهـا إعلانهـا كـمان مـش غريـب عليَّـا، حاسـس إني شـوفت الروايـة في معـرض الكتـاب وشـوفتها هــي كــمان، وريـنـي كـدة الروايـات الـلي اشـتريناهم مـن المعـرض.

- آدم، أنـت أكيـد مشـبه عليهـا، حـواء لابسـة نضـارة الشـمس وأنـت أصـلاً مشـوفتش ملامحهـا دقيقتـين عـلى بعـض، والروايـات الـلي جبناهـم مفيـش اسـم كاتبـة فيهـم حـواء.

- أنا محيَّر نفسي ليه؟ أنا هروح أسألها.

- أقعـد يـا آدم حتـى لـو طلعـت هـي هتسـتفيد إيـه، هـي مبصتلنـاش حتـى.

حديث «أحمد» جعلني أقف مكاني أنظر إليها من بعيد وأسأل نفسي: حقًّا وإن كانت هي ماذا سأستفيد؟ وهي لا تريد محادثتي أو النظر إليَّ.

ودعت أمنية وبسملة بعدما نزلنا من القطار، وقبل أن أصل لباب المحطة، وجدت يدًا تطبطب على كتفي لألتفت.

لا أستطيع أن أتركها ترحل،كنت أراقبها منذ وصولنا، وهي تبتعد عن عيني وأنتظر حدوث شيء يجعلها تحدثني، لا أريد أن تكون هذه مجرد صدفة عابرة وتنتهي. قد نتحدث لمرة واحدة، أو نتقابل مرة أخرى أو نتواعد مرات، ونصبح بحياة بعض الشيء بالمستقبل. ما يهمني الآن أن أحدثها قبل أن تختفي.

حين ألتفت وجدته ابن خالتي، أراد مفاجأتي وأتى يستقبلني، فسعدت كثيرًا.

لكنني لم أستطع الاقتراب منها ومحادثتها حين رأيت معها ذلك الشاب الذي كان ينتظرها. اقتربت من «أمنية» لأعطيها شاحنها بحجة أني لم أرها، خرجت من باب المحطة وأنا أنظر إليها من بعيد وأرى سعادتها

وهـي تمسـك يـد الشـاب وتـدور بيـده كطفلـة صغـيرة، لم أنتبـه لصديقـي الـذي تركتـه خلفـي لألحقهـا، ولا أنتبـه لكتـم رنـة هاتفـي التـي تجعـل الجميـع يلتفـت إليَّ.

كان لك معايا أجمل حكاية في العمر كله

كان لك معايا أجمل حكاية في العمر كله..

هـل سـبق وتوقفـت لمراقبـة المنظـر عنـد بوابـة الوصـول؟ وتطلعـت في وجـوه المنتظريـن؟

هل يتساءلون عما إذا كان شيئًا قد تغير في أثناء رحلتنا؟

ماذا أحضرنا معنا؟

هل وجدنا ما كنا نبحث عنه؟

هل كان العالم مختلفًا عمَّا ظنناه سيكون؟

هل وصلنا لإدراك شيء في نهاية رحلتنا؟

ربـما لم يتبـقَ لنـا الكثـير مـن الرحـلات، أو أننـا تركنـا شـخصًا عزيـزًا وراءنـا.

أحيانًـا تكـون الرحلـة نقطـة تحـول، وأحيانًـا نغـيِّر العـالم،

لكـن في غالبيـة الوقـت يكـون العـالم هـو الـذي غيَّرنـا نجد الحـب، أو نقـع في حـب مـا خلفنـاه بالديـار، أو نعـود للديـار بعائلـة جديـدة، وتجـارب لـن تفارقنـا، وفكـرة نؤمـن بهـا، نعـرف التغيـير حـين نـراه، ونعـرف أنـه نحـو الأفضـل. الذهـاب إلى وجهـات ينقلنـا درجـات لنصـل بالنهايـة لوجهتنـا.

***

إهداء

إلي أطيب وأنقي قلب بالعالم: إلي قلب أمي

وأهـدي هـذا العمـل بالكامـل وجميـع أعـمالي إلي روح خالتـي ومعلمتـي وحجـر أسـاسي:عزة جـلال

وإلي مثلي الأعلي دكتورة:هدية السعيد

للتواصل مع الكاتبة اعمل سكان للكيو آر دة: